



الثقافة وترجمة الأمثال

د.عبدالله جرادات / الأردن

القسم الأوّل: أنواع الأمثال

نستطيع أن نصنّف الأمثال من حيث قابليتها للترجمة إلى نوعين. يشمل النوع الأول ما يسميه ذبيان (2007) بالأمثال العالمية، وهي الأمثال الموجودة في ثقافات مختلفة في المضمون بشكل أوسع، أو في المضمون والبناء بشكل أضيق. وقد لا تشكّل هذه الأمثال صعوبات كبيرة للمترجم شريطة أن يكون ملماً بما نسميه "النظير الثقافي"، وهو ممثّل من اللغة التي سترجم إليها المثل وتسمى اللغة الهدف (Target Language) مقابل للمثّل الأصلي في لغته وتسمى لغة المصدر (Source Language).

ويمكن أن أعطي الأمثال التالية للتدليل على عالمية بعض الأمثال وهي:

1. "اللي بيتنه من زجاج ما برمي الناس بحجار".
2. "مَن يضحل أخيراً يضحك كثيراً".

لنّ أستهلّ مقالي هذه بمحاولة تعريف المثل أو الترجمة، فتعريف كليهما لن يزيدنا معرفة بهما، وأفضّل أن أوفّر مساحة كافية للحديث في صلب الموضوع؛ وهو -كما يدل العنوان- الثقافة وترجمة الأمثال. وقبل أن أخوض في صلب الموضوع عليّ القول إنّ الأمثال بشكل عام تُعدّ، بسبب طبيعة بنائها وإيجازها ومعناها بما يضمّر من إشارات ثقافية واجتماعية ودينية وأنثروبولوجية -ومعظمها قديم أو اندثر- من أكبر التحديات أمام أمرس المترجمين. وقد يتردّد بعضهم ويحجم في بعض الأحيان عن الترجمة إنّ علم أنّ ما سيقوم به هو ترجمة الأمثال. وسأقسّم مقالي إلى قسمين: يتناول الأوّل أنواع الأمثال من حيث طواعيتها للترجمة بناءً على عالميتها أو انحصارها بثقافة ما. ويتناول القسم الثاني الاستراتيجيات التي قد يتبّعها المترجم في ترجمة الأمثال.

3. "ليس كل ما يلمع ذهبًا".

4. "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

ويقابلها في الإنجليزية أمثال لها المضمون والبناء نفسهما، وهي مسردة بالترتيب لتوافق الأمثال العربية السابقة، فالرقم (5) يوافق الرقم (1)، وهكذا.

5. He who lives in glass houses should not throw stones.

6. He who laughs last laughs best.

7. Not all that glitters is gold.

8. If speech is silver, silence is golden.

ونستطيع أن نستدل على سهولة الأمثال من الأمثال نفسها، فهي لا تضمّ كلمات أو عبارات ذات مدلول خاص مفهوم في إحدى الثقافتين دون الأخرى، وتضمّ كلمات لها مرادفات في لغة المتلقي؛ الأمر الذي يجعل ترجمتها سهلة إلى حدّ ما.

وتعدّ الأمثال العالمية ذات المضامين المشتركة بين عدّة لغات أسهل إذا ما قورنت بالأمثال المحصورة بثقافة ما، ونقصد بها تلك الأمثال التي تضمّ اختلافًا بيّنًا بين لغة المثل الأصلية (لغة المصدر) واللغة التي سترجم المثل إليها (اللغة الهدف)، وهذا هو النوع الثاني من الأمثال. والاختلاف بالطبع ليس اختلافًا لغويًا فقط، وإلّا هو اختلاف ثقافي، فالأمثال مرآة للثقافة أيّ ثقافة، وحاضنة لتقاليدها وأعرافها، ومعتقداتها، وعاداتها، وقيمها، وممارساتها، وطقوسها في ظلّ ظروف مختلفة

كالطقس والغربة والصداقة والعداوة. ويصنّف "نيومارك" (1988) الألفاظ الثقافية البحتة إلى الآتي:

1. الطبيعة: كمسميات النباتات والحيوانات والتلال والسهول.
2. الثقافة الماديّة: وتشمل الطعام، والبيوت، والمدن، والقرى.
3. الثقافة الاجتماعيّة: وتشمل العمل، والزواج.
4. المفاهيم والنشاطات والعادات سواء كانت دينيّة أو فنيّة أو إداريّة أو سياسيّة.
5. الإشارات.

ويقول د.العزام (2018) في ورقة بحثيّة حول الصعوبات التي قد يواجهها مترجمو الأمثال المحصورة بثقافة، وبعض الاستراتيجيات التي قد تسهم في التقليل من هذه الصعوبات أو حتى تجنبها: "إنّ الطريقة التي تستخدم بها اللغة تعكس الكيفيّة التي ينظر بها أبناء تلك اللغة إلى العالم". ولعلّ العزام في هذا الأمر يتفق مع رأي "باكر" (1992) الذي يقول إنّ الثقافة مصدر مشاكل للمترجم عند ترجمة الأمثال لاحتوائها على مفاهيم بلغة المصدر غير متوافرة في لغة الهدف، وقد تتضمن هذه المفاهيم الدين، والعادات، والطعام.

ويتفق معظم الباحثين السابقين -وأنا معهم- على أنّه كلّما ازدادت الفجوة بين لغة المصدر ولغة الهدف، كلّما أصبحت مشاكل الترجمة أكثر شراسة. وتتطلب ترجمة الأمثال المعرفة الكافية في اللغتين والثقافتين، وعلى المترجم أن يكون موسوعيّ المعرفة بالمثل. فالمثل ليس

ومعناه وسياقات استخدامه، وبين ترجمة المثل ضمن حوار واقعي يومي، أو في رواية، حيث يبيّن السياق معنى المثل ونستدلّ من خلاله على كَيْفِيَّة استخدامه ووقعه على المستمع، وفي هذه الحال قد لا نضطرّ إلى توضيح كلّ ما ذكره د.العزام، ونكتفي بالمثل فقط.

وعلينا أن لا ننسى أنّ قَدَم الأمثال واندثار بعض مصطلحاتها الثقافيّة وسياقاتها التي ظهرت بها، قد يجعلها عصيّة على الفهم عند المترجمين الذين ينتمون لثقافة التكنولوجيا والشبكة العنكبوتية. فكيف لمثل هؤلاء معرفة ما المقصود بكلمة "طوالة" في المثل "حصانين ما بنربطوا عطوالة"، والكلمتين "صاع" و"ربعية" في المثل "الصاع يلحق الربعية"، وكلمة "إردب" في المثل "إردب ما هو إلك لا تحضر شيله، بتغبرّ ذقنك وتتعب من شيله"، وكلمة "اسكافي" في المثل "الإسكافي حافي والحايك عريان".

جملة لغويّة مجردة، وإثما لها تاريخها الموقفي والذي لا يجب التّغاضي عنه عند ترجمتها. كما أنّ للأمثال سياقات اجتماعيّة وثقافيّة يجب أن تكون حاضرة في ذهن المترجم. ومن الأمثال الأردنيّة البحتة والتي تشكّل صعوبات كبيرة عند ترجمتها نظرًا لعدم وجود نظير ثقافي لها في لغة الهدف المحصورة (العزام: 2018):

9. "سارحة والرب راعيها".

10. "قرد بعين أمه غزال".

11. "ثلثين الولد لخاله".

12. "أقلب الجرّة عثمها بتطلع البنت لامّها".

13. "اطعم العنز واطلب حليب".

وسأشرح ما يقوله "العزام" حول المثل الأوّل فقط. فالمثل بحسب ما يعني حرفيًّا استخدم للإشارة إلى الأبل التي تربى في بيئة صحراوية يندر فيها النبات، فتبذل جهدًا جمًّا في البحث عنه، الأمر الذي يجعل جلّ اهتمامها منصبًّا على إيجادها وتجاهل أيّ شيء آخر من شأنه إصرافها عن هدفها. وأصبح المثل في ما بعد يستخدم للإشارة إلى البشر الشاردي الذهن. ويعتقد العزام أنّ مَنْ يريد أن يتجسّم عناء ترجمة المثل أن يكون ملئمًا بهذا السياق التاريخي، وعليه أن يرفق نصّه المترجم بتفاصيل توضيحيّة من شأنها ردم الفجوة الثقافيّة حول الإبل وهيامها لإيجاد النبات، وحول الإشارات الدينيّة المتضمّنة في المثل.

وأعتقد أنّ هناك فرقًا بيّنًا بين ترجمة المثل كنوع لغوي بمفرده، كما لو كان مسردًا ضمن معجم الأمثال، الأمر الذي يتطلّب ذكر قصّته



القسم الثاني: استراتيجيات الترجمة

وقد يسلك المترجم في ترجمة نوعي الأمثال طريقتين، أولاهما التَّغريب (foreignization)، وهو مصطلح اقترحه "لورنس فينوتي" (1995) أستاذ الترجمة في جامعة "تمبل" الأميركية، وهي إيراد المثل في لغة الهدف كما ورد في لغة المصدر. ويعبّر "فينوتي" عن التَّغريب بقوله: هو أن "تستطيع أن تجعل القارئ يسافر خارج وطنه". ويرتكز مصطلح التَّغريب على الحفاظ على العناصر الثقافية البحتة كالأسماء، وأساليب الطبخ، ومسميات الأطباق، والشخصيات التاريخية، والشوارع. ويعتقد "فينوتي" أن التَّغريب هو الخيار الأسلم أو الأخلاقي الذي يجب على المترجم اتُّخاذه. وقد يسلك المترجم للوصول إلى التَّغريب عدّة طرق منها الترجمة الحرفيّة، أو استخدام التَّنظير الوظيفي؛ وهو مثل من اللغة الهدف يحمل المعنى نفسه، أو إعادة صياغة المثل. ويسهم التَّغريب في إثراء ثقافة القارئ وإطلاعه على ثقافات أخرى.

أما الطريقة الأخرى في ترجمة الأمثال وهي التوطين (domestication)، ويسمّيها بعضهم التندجين، وتقوم على تقليل الغرائب التي قد يواجهها القارئ للنص وذلك باستخدام كلمات عامة من لغة الهدف مستساغة لدى القارئ. ويعبّر "فينوتي" (1995) عن التوطين بقوله: "تستطيع أن تعيد المؤلف إلى موطنه"، ويعني بذلك أن المترجم يستطيع أن يغيّر في ترجمة المثل لتصبح مستساغة لدى القارئ.

وختامًا، فإنَّ الهدف الأسمى الذي يسعى إليه المترجم في ترجمة أيّ نص ومنها الأمثال هو الوصول إلى المكافئ الثقافي في لغة الهدف. ويُعدُّ هذا الهدف ممكنًا -نوعًا ما- عند ترجمة أمثال عالميّة مشتركة بين ثقافة المصدر وثقافة الهدف، وهي الأمثال التي تحمل مضمونًا عامًّا وبناءً متشابهًا، أو أولاهما فقط، ويغدو الهدف أصعب عند التعامل مع الأمثال المحصورة بثقافة دون أخرى. وتُعدُّ الثقافة أكبر عائق يقف أمام المترجم عند محاولته ترجمة الأمثال ■

References:

- Al-debyan, Q. (2007). Strategies for Translating Arabic Cultural Markers into English: A Foreignizing Approach. Ph.D. Dissertation. University of Arkansas.
- Al-Azzam, B. (2018). Culture as a Problem in the Translation of Jordanian Proverbs into English. International Journal of Applied Linguistics & Literature. V. 7 n. 1 pp 56-63.
- Baker, M. (1992). In Other Words: A Course book on Translation. New York: Routledge.
- Newmark, P. (1988). Approaches to Translation. Herford-Shire: Prentice Hall.
- Venute, L. (1995). The Translator's Invisibility: A History of Translation. New York: Routledge.

